الوصف عند شعراء باكستان(المشاعر والشعائر الإسلامية خاصة)

Descriptive Verse of Arabic Poets of Pakistan with special reference to Islam Emblems

Hamid Ashraf Hamdani, Associate Professor
Department of Arabic, University of the Punjab, Lahore

Abstract

Arabic poetry falls in the vast ambit of diverse Islamic topics. Descriptive style is one of the important genres of Arabic poetry. Great Arabic author Ibne Rashiq al-Qirwani is reported to have said that Description has been a major part of Arabic poetry. This article presents the study of Descriptive poetry especially on Manasik-e-Hajj and Islamic Emblems rendered by Pakistani poets. Among them are: Asghar Ali Rohi, Zail al Haq Sufi, Muhammad Nazim Nadvi, Muhammad Yousuf Binnauri, Mufti Muhammad Shafi, Muhammad Husain Qadri, Muhammad Jamil Qalander, Muhammad Afzal Faqir, Pir Muhammad Hasan, Latafat al Rehman Sawati, Dr. Zahoor Ahmad Azhar, Mufti Jamil Ahmad Thanvi, Maulana Idrees Kandhalvi, Ghulam Naseer Challasi, Abdul Aziz Memon and Abdussalam. Besides Islamic months, Manasik and Mashair of Hajj and life after death, descriptive poetry deals with the topics like book and pen cities and countries, incidents, educational institutions and natural phenomena.

Keywords: Descriptive Verse; Arabic Poets; Pakistan

مفهوم الوصف:

الوصف لغةً: وصفه يصف وصفاً وصفةً والهاء هذه عوض عن الواو وقيل الوصف مصدر والصفة الحلية(١) .

وقال صاحب لسان العرب:

الوصف ، وصفك الشيء بحليته ونعته وقوله عزّوجل ﴿ وربنا الرحمٰن المستعان على ما تصفون﴾ (٢) أراد ما تصفونه من الكذب(٣).

وقال صاحب القاموس الوافي:

"(و ص ف) وصف الشيء وصفاً وصفة: نعته بما فيه. وصف المهر والناقة ونحوهما وصفاً ووصوفاً أجادا السير وجدّا فيه. والطبيب الدواء : عيّنه باسمه ومقداره والخبر: حكاه والثوب الجسم: أظهر حاله وبيّن هيئتة"(٤)

ومنه اتّصف أي صار موصوفاً أوصار متواصفاً. كما في قول طرفة:

إنّي كفاني من أمر هممت به جار كجار الحداقيّ اتّصفا(٥)

اتّصفا: أي صار موصوفاً بحسن الجوار.

أما الوصف اصطلاحاً: فهو الكشف والإظهار(٦) .

وقال القدماء في تعريفه:

هو ذكر الشيىء بما فيه من الأحوال والهيئات(٧).

والوصف عند الجرجاني هوعبارة عمادلّ على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أي يدل على الذات بصفة كأحمر. فإنه بجوهر حروفه يدلّ على معنى مقصود وهو الحمرة(٨).

وقد ذكر أحمد الهاشمي تعريفاً جامعاً للوصف بقوله :

"الوصف، هو شرح حال الشيء وهيئته على ماهو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعره"(٩)

الوصف بين الأغراض الشعرية الأخرى:

يميل الإنسان إلى أن ينقل صورة مايحبّه ويكرهه بطريقة وصفية، حينما يشاهد في الدنيا هذه كثيراً من الأشياء المتنوّعة الألوان والماهيات قد يعجب ببعضها ويكره بعضها الأخرى كما أن كثيراً منها تثير في قلوبه من شتَّى العواطف مثل عاطفة الحب وعاطفة النشوة والذهول ووصف جوانبها المعجبة وقد يكون الكشف في صورة نقش أورسم أو في صورة نثر أوشعرٍ حسب تباين أهل المشاهدة.

والشاعر العربي كان من هؤلاء العباقرة الإنسانيين فرسم مارأى وصوّر ماشاهد ووصف ماأحسّ فترك في المتحف الأدبي صفحات خالدة على اختلاف العصور ونقل الصوت والحركة والنشاط ورسم الحديث واللون والظل سواء كان في رسم الطبيعة أو في تصوير الإنسان والحيوان أو في وصف الأخلاق والطباع والعادات. لعلّه سارفيه على أنه وصف حسيّ ماديّ، في مدحه للرجال أو هجائه للخصوم أو فخره بقوته وشجاعته أورثائه للأحبة الذين يفقدهم، أو في نسيبه وتشبيبه بالمرأة والجمال(١٠)-

فلما عرض النقاد القدماء لهذا الشعر، قسّموه إلى أبواب فيها المديح والفخر والهجاء والرثاء والنسيب والوصف، ورأوا أن الوصف يغلب عليها جميعاً ويشملها بردائه حتى قال ابن رشيق: "إن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف"(١١)

وقدجعلوا الأبواب الخمسة للإنسان تصف أخلاقه وطباعه ومزاياه ومحاسنه وخلقته وتكوينه وخصوا الوصف بالحيوان والنبات والأرض والسماء والماء والنار فأدخلوا الخمر فيها على أنها بعض هذه الأجزإ(١٢)-

ومع الأيام تفرّع الوصف أبواباً في الشعر فأصبح وصف النساء غزلاً ووصف الخمر خمريّات ووصف الصيد طرداً وهكذا إذا قلنا نحن اليوم "الوصف" عنينا الوصف المطلق أو وصف الطبيعة بما فيها من حياة: نبات وحيوان أو من موات كالجبال والأنهار والنجوم والأودية والثياب والهياكل وما سوى ذلك(١٣)

أشهر الوصافين في تاريخ الأدب العربي:

ومن أشهر الوصافين في تاريخ الأدب العربي جاهلية وإسلاماً فهم وإن كانوا يجيدون أكثر الأوصاف لكنهم اشتهروا بأنواع غلبت عليهم الإجادة فيها، فاشتهر من نعّات الخيل امرؤالقيس وأبوداؤد وطفيل الغنوي والنابغة الجعدي ومن نعّات الإبل طرفة وأوس بن حجر وكعب بن زهير والشمّاخ.

وأمّا الخمر فمن أوصاف الأعشىٰ والأخطل وأبي نواس واشتهر أبو نواس وابن المعتز أيضاً بوصف الصيد والطرد ولايذكر مع امرئ القيس في منزلته من اخترع التشبيه الا ابن المعتز وكان ذوالرّمة أوصف الناس لرمل وهاجرة وماء وقراد وحيّة وهو رئيس المشبّهين الإسلاميين.

وقد اشتهر بوصف الطبيعة الوحشية أيضاً عبيد بن أيّوب العنبري. واشتهر كشاجم بآلات المنادمة والصنوبري بالروضيات وابن خفاجة الأندلسي بأوصاف الطبيعة الحضرية وابن حمديس الصقلي بأوصاف البرك والمياه والأنهار(١٤)-

الوصف في الشعر العربي:

لاشك أنّ الشاعر يستمدّ مواضيعه من طبيعة بئيته يتأثربها ويؤثر فيها محاولاً أبداً أن يعبّر عن تأثيره وتأثّره حتّى كأن شعره لوحات منقولة بدّقة وبراعة عن البيئة التي يعايشها.

ومن هذا القبيل فإن الشعر الجاهلي سجل واضح جليّ تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية كأنها تجري في حقيقة الواقع وليست توصف في الحروف والألفاظ عبر الذهن فهو يضعنا وجهاً لوجه أمام معالمها كأنّنا نعيش في قلبها وجاء شعرهم صورة واضحة أوسجلاً دقيقاً لمعالم حياتهم يتناولون فيه الطبيعة الساكنة كالرمال والجبال والصحراء والوديان والطبيعة الحية المتحركة كا لإنسان والحيوان وخاصة مااشتمل عليه بئيتهم من جياد وإبل ونعام وغزلان وحمر وحشية.

فالشعراء الجاهليون لم يدعوا حيواناً أومشهداً دون أن يصوّروه فقد وصفوا الأرض التي عاشوا عليها من وهاد وتلول وصحارى ورياض وبرك وشجر وثمر والحيوان الذي كان يدبّ بينهم والقصور التي كانوا يشدونها ومجالس الشراب التي كانوا يعقدونها والحروب التي كانوا يخوضونها(١٥)

ونرى معالم كل عصر من العصور الأدبية المختلفة جليةً في شعر كل عصر بدءاً من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وعندما نرجع إلى الشعر العربي الباكستاني، فنرى أن أكثر الّذين قرضوا الشعرهم من العلماء

الذين تخرجوا من المدارس والجامعات الدينية وهؤلاء كتبوا وألّفوا كثيراً من الكتب بجوار ماقالوه من الشعر فلم يكن الشعر هو الصنعة الوحيدة التي تغنوا بها واعتمدوا عليها في تفكيرهم وكتاباتهم فنرى في شعرهم وصف الكتب والمدارس الدينية كثيراً لأنّ المدارس الدينية كانوا يسكنونها فوصفوها وبينوا خدماتها الجليلة في نشر العلوم العربية والإسلامية، وأما الكتب فكانوا يدرسونها صباحاً ومساءً ولما أعجبوا بكتاب واستحسنوه وصفوه وبينوا العلوم والمعارف التي شملها.

ووصف بعضهم الوقائع والحوادث من التاريخ الإسلامي كوقعة كربلا والإسراء والمعراج والحروب المختلفة بين بلاد الكفر والإسلام لإخبار المسلمين عن تاريخهم ووصف الشهور الإسلامية مثل رمضان وشعبان مع بيان فضائلها لحث الناس على الطاعة والعبادة.

ومنهم من سافر للحج فوصف ما رأى من كيفية الحج ومناسكه، ومع ذلک وجدنا وصف الطبيعة أيضاً في الشعر العربي الباكستاني فالشعراء الباكستانيون وصفوا فصل الربيع والشمس والليل والرياح المختلفة.

وفيما يلي نقدم نماذج شعرية لشعراء باكستان في صدد الوصف فمن موضوعات شعر الوصف عندهم :

١ـ وصف أدوات العلم من الكتاب والقلم:

أما الكتاب فهو أهم أدوات العلم ووصف كثير من الشعراء الباكستانيين الكتاب، فنرى بعضهم يصف كتاب اللّه المجيد ونرى بعضهم يعجب بكتاب خاص استحسنه فوصفه وبيّن العلوم والمعارف التي شملها.فمن وصف القرآن الكريم ماقاله الشيخ أصغر علي الروحي .

كتاب ناطق بالوحي حقاً ... بآيات فهنّ لنا الشفاء
بألفاظ تناوبها المعاني ... عجائبها فليس لها انقضاء
كتاب لايداخله ارتياب ... ولافي جزم معناه ارتياء
كتاب قد بدا شمساً وبدراً ... تجلى منه نور أوضياء
تأمل في الغوامض والمزايا ... تجدها فوق مابلغ العلاء(١٦)

وقال الشيخ محمد يوسف البنوري في وصف القرآن الكريم أيضاً.

محمد جاء بالقرآن معجزة ... دامت لنا روضة مخضرة أنفا
آياته بينات الحق قاطعة ... قد نظمت درراً لا ترتجي لطفا
أحكامه الغرّ أضحت للضلال هدى ... آياته أنجم تهدي الورى طرفا
ألفاظه نسقت در منضدة ... دقت لطائفها وهي الزلال صفا
فاقت حقائقها راقت دقائقها ... تهديک نوراً مبيناً للقلوب شفا

كالنجم إذ لمعت والشمس إذ سطعت والعين إذا نبعت والصوب إذ وطفا
سامت معارفه عزت عوارفه بحر العلوم كموج البحر ما نشفا
بحر عظيم إذا ما غصته نظراً أولاك درّاً ثميناً غالياً تحفا
فاقت بلاغته أعلى ذرى قلل فكل من يدعيها بعد نكفا
إني أقول وخير القول أحسنه به أنال الرضا من ربّنا وكفى (١٧)

ولفت بعض الكتب أنظار الشعراء الباكستانيين فأعجبوا بها ووصفوها في شعرهم فها هو الدكتورضياء الحق الصوفي يقول في وصف "كتاب المعارف" لابن قتيبة

كتاب المعارف لابن قتيبة خزانة علم لأهل الأدب
ففيه النوادر مجموعة لنفس امرئ فيه كنز الطرب
غنيً فيه عن كتب ضخمة على طالب العلم في ماوجب
معارف شتى بطيّاته سبائك من فضة أو ذهب
فقل للّذي لم يزل كادحاً لتحقيق شيئ ونال النصب
ألا لاتته في ظلام العمىٰ بمضمونه لذوبله الطلب
إذا كنت تطلب علماً يقيناً بأخبار تاريخ ملك العرب
عليك بتفتيش أوراقه تجد فيه ماتبتغي والأدب
وإن قلّ ججماً ولكنه قليل كفى من كثير التعب
مبينة فيه كل العلوم على صغر الحجم يالعجب (١٨)

ووصف الدكتور لطافت الرّحمن السواتي كتاب "علوم القرآن" للشيخ شمس الحق الأفغاني:

الا إن هذا الشمس علم تلأ لأت على أفق القراٰن من كل جانب
كتاب ونبراس ونور وحكمة وفي كل سطر منه علم العجائب
فإن أنت تشهىٰ أن تفوز ففز به معارف شمس الحق السحائب
له علم أسلاف وتدبير خالف وشرح كلام اللّٰه جلّ المطالب
به تدفع الزيغ الذي شاع عندنا لأهل الهوىٰ من كل أهل الأكاذب (١٩)

وفي هذا الصدد نكتفى بالإحالة فقط إلى قصائد أخرى في وصف بعض الكتب خشية الإطالة فمنها قصيدة الأستاذ السيد كبير أحمد مظهر فى وصف كتاب جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني(٢٠) وقصائد الشيخ محمد يوسف البنوري في وصف كتاب "فيض الباري في شرح صحيح البخاري". للشيخ أنور

شاه الكشميري (٢١). و"الروض الأنف"(٢٢). و"معارف السنن"(٢٣).ولـلشيـخ محمد إدريس الكاندهلوي قـصيدة في وصف صحيح البخاري(٢٤) ولـلـدكتور ضياء الحق الصوفي قصيدة أخرى في وصف كتاب "تمثال الأمثال" لجمال الدين الشيبي العبدري(٢٥).

والـقـلـم مـن أدوات الـعـلـم التـي اتـخذها شعراء باكستان بالعربية موضوعاً للوصف . فقد جادت قريحة الشـاعـر مـحـمـد نـاظـم الـنـدوي بـالأبيات التالية في وصف القلم حين أهداه إليه أستاذه الجليل السيد سليمان الـنـدوي وقـد سـافـر إلـى حيـدر آبـاد دكن (الهند) وكانت يومئذ ذات استقلال داخلي وجاء بقلم مكتوب عليه اسم تلميذه وسنة صنع القلم- ١٩٤٤م :

أهـــــدى إلـــــيّ سيـــــدي قـــلـــمـــاً رشيـقـــاً مـــن دكـــن
أغـــلـــى مـــن الـــلـــؤلـــؤ وأر شـــقـــاً مـــن الـــقـــد الـــحسـن
هـــوخيـــر مـــا يهـــدى إلـــى مـــن يبتـغـي الـذكـر الـحسـن
يـــاحبـــذا تـــلك الـعـلـى مـــن مـــاجـــد حبـــر الـــزمـــن
كـــم مـــعـــدم نـــال بـــه مـــالاً عـظيـمـاً فـي الـمـحـن
كـــم صـــاغـــر عـــزّ بـــه ونـــال مـــجـــداً بـــالـــوطـن
كـــم مـــفـــحـــم ألـقـى بـــه خـطبـــات سـحبـــان الـلسـن
كـــم خـــامـــل يسـمـوبـــه فيـظـل يـعـرف بـــالـعـلـن
قسـمـــاً بـــه وبـمـجـده ألـــى الإلـــه ذو الـــمـــنـــن
تـــفـــري الأمـــور بـــحـــده ولـــمـــجـــده يـعـنـو الـــزمـن
يـــرقـــي الـــلـــديـغ بـــنـفثـه فيهـــبّ يـــمشـــي مـــن وســـن
يسـقـي الـجـديـب بـنبـعـه فـــــإذا بـــــه روض أغـــن
سيف صـــقيـــل فـــي الـــوغـــى مـــوت ذريـــع بـــالـــرســـن(٢٦)

٢- وصف الجامعات والمدارس الدينية:

ومـن مـوضـوعـات الوصف عند شعراء باكستان بالعربية وصف المدارس الدينية والجامعات التي لها دور عـظيـم في نشـر الـلـغة الـعـربية والـعلوم الإسلامية وترويجها في هذه البلاد في عصر الاستعمار البريطاني وبعد استقلال باكستان.

فقال عبدالعزيز الميمن يصف جامعة علي كره الإسلامية:

سـلامٌ عـلـى خيـر الـبـقـاع عـلـي كـر ومـصبـحهـا فـي ظـل أمـن ومـمسـاهـا

سلامٌ عليها، إن طيب نسيمها يجدد في قلبي على الدهر ذكراها
ومالي لاأصبو؟ وطيبُ ترابها يُشهّي إلى قلبي هوى رحبِ مثواها
ورحبتها الفسحاء يشرق جوّها وروضتها الغناء يحظيك رياها
على أنها بالهند أوّل معهد لتأديب ناشيها قد أسس تقواها
وفتيان صدق لايمل حديثهم تجرد في نشر المعارف مسعاها
تراها بزيّ واحد فتظنها وإن لم تكن في الخلق والخُلق أشباها
تخرّج خصيصون منها بسبقهم فأجروا عيوناً للعلوم وأمواها
وصاروا هدادةً قادةً لبلادنا من السبل سبل السالكين لأهداها (٢٧)

ووصف الشيخ لطافت الرحمن السواتي الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند وذكر خدماتها الجليلة في نشر علوم الدين فقال:

ديوبند أكبر مركز لجهاد فتفوقت لشرافة ببلاد
بكرامة وشهامة وسعادة بين البقاع تلالها ووهاد
قد خصّها ملك الورى بمكارم وعوارف وعواطف وأيادي
بعظيم نعمته إقامة دينه ببناء مدرسة بذاك الوادي
واد تقدس بل تعظم حرمة اختير للتعليم والإرشاد
فهناك ينبوع المعارف قد جرى بزلاله يشفي غليل الصادي
لابل هو البحر الخضم تموجا أمواجه سامت إلى أنجاد
فالعلم شاع وذاع كل مواطن في الأرض من ديوبند ذات عماد
ديوبند مركز علم دين المصطفى والعروة الوثقى لدى إسناد (٢٨)

وفيما يلي بعض أبيات من قصيدة الشيخ محمد يوسف البنوري في وصف الجامعة الإسلامية بدابيل ببلدة كجرات:

فدع عنك ليلٰى ثم سعدى وهندهم فجامعة الإسلامي فيها جميعها
ودع ذكر سلمى أوحديث سعادهم فهذي مغاني العلم راقت ربوعها
ونادتني الأشواق مهلاً فهذه حدائق فيها للقلوب نجوعها
ألا يا لكجرات تضوع طيبها وآلت بنور قد أنار صديعها
تلألأ نور الحق في وسط قاعها فيرتاح فيها شيخها ورضيعها

وكانت بقاعاً أجدبت من طوارق فعادت رياضاً رحبها ووسيعها
وهذي ديار كن مظلمة الرجا فأضحت ويزهو ربعها وبقيعها
فجامعة الإسلام تهطل مزنها فيخضرّ منها سهلها وربوعها
فقرت قلوب كان جما وجيبها وقرت عيون حين تهمي دموعها
فها هي دار للعلوم رفيعة ومرعاة خصب لايعدّ قطيعها
هي الشمس أبدى رونق العلم نورها واشرق في سرالقلوب طلوعها
وكم من ينابيع الرشاد تزورها فمنها مجاريها ومنها نبوعها (٢٩)

وهناك قصائد أخرى في وصف المدارس وإبراز دورها في المجتمع الباكستاني منها قصيدة لمحمد أمجد علي في وصف مدرسة النهضة في "أبوظهبي" (٣٠) وقصيدة للشاعر الباكستاني الآخر عبداللطيف الحصيرى(٣١) وقصيدة للمفتي محمد شفيع في وصف دار العلوم الديوبندية (٣٢) وقصيدة لأصغر علي الروحي في وصف المدرسة النعمانية بلاهور(٣٣) وله قصيدة أخرى في وصف مدرسة قاسم العلوم بلاهور والتي بناها الشيخ أحمد علي اللاهوري مؤسس جمعية خدام الدين(٣٤).

٣ـ وصف الأماكن والبلاد:

ومن موضوعات الوصف عند الشعراء الباكستانيين وصف المدن المختلفة فقال الدكتور محمد جميل قلندر في وصف مدينة دمشق، عاصمة سوريا وبالغ في وصفها وشبهها برياض الجنة.

بطيب وعزف ولون زهي تذيبين شمع كياني الوضي
بخمر ودرّ وشهد صفي تفيض ثراك أيا جنّتي
بروح وراح وريح ندي فتحت رياحين رُوحي الشّجي
فطوبى لغلمانک الخالدين يطوفون في كل مقهى زهي
بكأس دهاق من السلسبيل وطَشت مليئ بلحم طريّ
وصحن من الفُول والحمّص فشرب لذيذ وأكل شهي
فأهلاً وسهلاً أيا مريمي هنيئاً مريئاً كلي واشربي
إذا ما مررت بروض الجنان قفي ناقة اللّه ثم ارتعي
بعزف ورقص يموج البهاء فيا أرض نبعيک لاتبلعي
ألا ياسماء امطري بالغناء رُويداً رويداً ولا تقلعي
وطوبى لحوراتک في الخيام بهندامهنّ تُزان الحلي
فيا روضة من رياض البهاء فهل أنتِ تأويل رؤيا النبي

لقد صرت حلماً ومنك الصُّور ... على شاشة الروح قد ترتمي
ولو غاب عن ناظري منظرك ... فذكراك من قلبي لاتنمحي
فويل لمن لايرى ماأرى ... فذاك الّذي يجهل منطقي (٣٥)

ووصف عبدالسلام سليم مدينة "جدة" يشكو حرها فقال:

نموت من الحرّ الشديد بجدة ... ونشرب ماء النار في كلقهوة
وكنا هنيئ العيش في أمّ القرىٰ ... لقد أوقعتنا جدة بصعوبة
ونصبح مغسولين من طل السّمآ ... ونمسي كذلک من عروق حرارة
نبيت بأفّ بعد أفّ مسلسل ... ونقعد طول اليوم في جوف خلوة
علىٰ كل حال هٰهنا نتأسف ... بفيضان أجفان علىٰ سلب راحة
ولمّا دخلنا جدة بعد راحةٍ ... فمتنا إلٰهي من حرارة جدّة
أكلنا هواءً بارداً في طريقنا ... علىٰ بنت ريح عمّة السيّارة
نقول لقهوى بعين تلطّف ... وتفضّلٍ وتمنن وفكاهةٍ
إذا أنت تسقينا من المآء بارد ... فنعطيک من هذي القروش بعشرة
فيعطي لنا ماءً يقطّع حشونا ... ويحرق أمعاءً بكل سريرة
فواللّٰه هذا من عجيب عجائب ... نذيب قلوباً بعد إعطاء قيمة (٣٦)

وقال الدكتور بير محمد حسن يصف أرض القشير:

أيا حبّذا أرض القشيرو روضها ... ويا حبّذا أزهارها وقصورها
مياه عذاب قد أحاطت بأرضها ... فياحسن أشجار وحسن طيورها
ويا حبّذا إذا أنجبت بسميدع ... كريم المحيّا باسم الثغر خيرها
هوا لأ نور الحبر الفطين الذى به ... سرى ذكر أرض القاشمير ودورها
تقِيّ نقيٌّ خاشعٌ ثمّ تقن ... علومًا أنار الخافقين سفورها (٣٧)

وقد اتخذ بعض الشعراء الباكتسانيين وصف بعض المباني والمطاعم الشهيرة موضوعاً لشعرهم خلال وصفهم للأماكن والبلاد فنرى محمد ناظم الندوي يصف "تاج محل" في مدينة آكره بالهند وهو القصر الجميل الرائع المبنى من رخام أبيض، المطل على نهر جمنا، الذي بناه الملک شاهجهان تذكاراً لحليلته وحبيبته وتقديراً لها ووفاء بحبها ـ وإنها مدفونه في وسط قاعته الكبرى فيقول:

للّٰه در ما بناه شاهجهان ... هو بسمة تعلو على ثغر الزمان

أو زهـرة بيضـاء تـزهـو فـي الجنـان ... أو درة تـلـمـع فـي جيـد الحـسـان
أو دمية مـن مـرمـر لـمـثـل ... متـأنـق فـي صـنـعـه ومـفـصـل
صـنـع يـكـاد فـنـه يتـكـلـم ... ببـراعة فـي نـحتـه أو يبسـم
وكـأنـه فـص جـميـلٌ أروع ... فـي خـاتـم الأرض يـروق ويـلـمـع
هـو مـاسة حـجـراً وزهـر روعةً ... يـحـار مـن يـرنـو إليـه حيـرةً
ويـروع مـنـظـره ويـخـلـب لبـه ... متـوسـمـاً حيـران يـلـمـس جنبـه
وإذا نـظـرت إليـه أول نـظـرة ... أكبـرتـه وقـلـت: أجـمـل درة
وتـقـول: صيـغ مـن الـضيـاء رخـامـه ... أو فـضة بيـضـاء قـام قـوامـه
كـأن مـن فيـه كستـه جـمـالهـا ... وتبـرعـت لـه ببـعـض جـلالهـا
حسـنـاء لا رتـاح الـحبيـب بعقلهـا ... وبـحسـنهـا و ولاء هـا وبـفـضلهـا
روعـاء قـد هـام الـمـليک بفضلهـا ... وبـخـلـقهـا وبـراء هـا و نبـلهـا
غـراء قـد مـلـكـت فـؤاد حـليـلهـا ... بـذكـاء هـا ووفـاء هـا وجـمـالهـا (٣٨)

وللدكتور محمد جميل قلندر قصيدة في وصف "مطعم على بابا" في دمشق.

أنا جالس
بكرسي من الخشب الذي أمسى
لساناً ينطق بالشكل والمعنى
بفنّ الجنّة الدنيا
ذكاء الأيدي والأبصار قد ألفى
بأحجار وخشبان
دُمى الفنّ مقيّدة فأطلقها
وأبرزها وزيّنها بألوان
وأهداها لمطعنا علي بابا
جُبيل المنّ والسلوى
وكل من لصوص في مغارته
لقد صار بسحر الفنّ تمثالاً
ولكن لم يزل حيّاً ومحتالاً
فير قبنا كمن يحرس مطعمنا

ألا يا أيّها المطعم
لروحي فيك أوقات فلن أنسى
قِرى فردوسك الأبهى(٣٩)

وللدكتور جميل قصيدة أخرى في وصف "مطعم المروش" في بيروت(٤٠)

٤ـ وصف الوقائع والحوادث:

ومن موضوعات الوصف عند شعراء باكستان وصف الوقائع والحوادث من التاريخ الإسلامي فمن تلك الأحداث والوقائع التي رسمها شعراء باكستان إسراء النبي صلى الله عليه وسلم فقد اتخذه محمد أفضل فقير موضوعاً لشعره (٤١) والدكتور ظهور أحمد أظهر حيث قال :

أسرى الإله بعبده في ليلة ... فطوى الفضاء ببدره وذكائه
فسرى الرسول بجسمه من مسجد ... لمسجد متبارك بفنائه
فطوى المسافة مسرعاً في لمحة ... من سريه والقدس من إسرائه
ودعا المليك حبيبه ليجله ... فسما به في طرفة بسمائه (٤٢)

ومن الشعراء الباكستانيين الذين اتخذوا إسراء النبى صلى الله عليه وسلم موضوعاً للوصف الأستاذ محمد حسين القادري(٤٣) والمفتى جميل أحمد التهانوي(٤٤) و محمد إدريس الكاندهلوي(٤٥) وعبدالمنان الدهلوي (٤٦).

وغزوة بدر من تلك الأحداث التي اتخذها شعراء نا موضوعاً فيقول أصغر علي الروحي :

إذا التقت الطوائف يوم بدر ... أتاك النصر يخذلهم فضوحاً
أيا "قتلى قريش" يوم بدر ... وألبست الوجوه دماً مسفوحاً
تركت القوم في الهيجاء صرعى ... كأن من الدّما لهم مسوحاً
دللت على مصارعهم فرادى ... قبيل الحرب فانتظروا وضوحاً
وأن القوم لم يألوا خبالاً ... وقد فتح الإله لك الفتوحاً(٤٧)

وقد اتخذ الأستاذ محمد حسين القادري الحرب التي نشبت في ١٩٦٥م بين الهند وباكستان موضوعاً لشعره فقال:

لايثبت الأبطال عند لقائنا ... ولنا إذا حمي الوطيس زئير
سل جيش هند إذ أتانا ثائراً ... بمدافع ومرامهم لاهور
يخبرك من شهد القتال بأنهم ... جرحى وأسرى في الكبول وبور
ندبت على القتلى النساء سوافراً ... وشققن أقمصة وتلك حرير

قالت جيوش الهند بعد هزيمة والله ما للمسلمين نظير
إنا إذا نادى المضاف لنجدة نسعى إليه وسعينا مشكور
أيامنا مشهورة وجيوشنا منصورة وعدوّنا مقهُور (٤٨)

ووصف الأستاذ القادري أيضاً الحرب التي نشبت بين العراق والأمريكا وأحلافها في ١٩٩١م.(٤٩)

٥ـ وصف الطبيعة:

وصف الطبيعة هو أهم موضوعات الوصف في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، فالشاعر العربي لم يترك حيواناً أومشهداً دون أن يصوره أويرسمه فوصفوا من الطبيعة الميتة الأطلال والصحراء والليل والسحاب والمطر والأزهار والثمار وغيرها ومن الطبيعة الحية الإبل والناقة والفرس والثور الوحشي والأسد وغيرها.

أما وصف الطبيعة في الشعر العربي الباكستاني فهوقليل إلاأن بعض الشعراء الباكستانيين اتخذوا وصف الطبيعة غرضاً شعرياً فمن هذا الصدد ماقاله الدكتور ضياء الحق الصوفى في وصف الشمس:

الشمس في كبد السما ء من الصباح إلى المساء
في كل صبح تطلعُ للنّور نعم المنبع
ضاحكة مستبشرة فالأرض منها مسفرة
بنشرها وذرّها تجري لمستقرها
سراجنا الوهّاج منزله الأبراج
جذوة نار تستعر والسحر سحر مستمر
تبهرنا ضياؤها تعجبنا سناؤها
وقت الطلوع والغروب كأنها تبريذوب(٥٠)

وله قصيدة أخرى في وصف الشمس(٥١)

وقال الشيخ سيد سليمان الندوي يصف الشمس عند مغيبها:

كأنما الشفق الممتد في الأفق خمر معتّقة شجت لمغتبق
خمر لعنقها أعلى همالية شجت بماء غمام هامر غدق
كف الطبيعة تسقي أكؤسها ويل لمن هذه الصهباء لم يذق
نحو القلوب حمياها إذا نظرت إلى السماء بأقداح من الحدق
والطير تشربها حيناً تروح إلى أوكارهاً صافرات السجع في حلق (٥٢)

ومن وصف الطبيعة وصف الرياض فقد وصف الأستاذ محمد ناظم الندوي الروض ومايهب فيها من الريح ومداعبتها الأماليد من الغضون الناعمة الناضرة والأزهار العبقة:

حديث من السر العلى تحدثت ... به الريح للأزهار في همسات
تداعبها شوقاً فتهتز نشوة ... وتفشو بسر الروض مبتسمات
تلامسها لطفاً فتتفرغنجة ... وتبدي رضاء النفس بالعبقات
تجاذبها حباً لتلثم ثغرها ... أيروي غليل القلب باللثمات
تكللها دراً من الطل لامعا ... وتأتي عليه الشمس بالنفحات
ياكرها ذر من الشمس شارق ... فيلمع دراً ذاك بالورقات
يقابلها قلب من الحبّ فارغ ... فيطلع فيه الحب في خفقات
أسائلها سراً من الروض غامضا ... فتظهر ذاك السر بالنفحات
لعلّ نجوم الفلك لم ترض أن ترى ... مثيلاً لها بالأرض في لمعات
فأوحت إلى أخت لها في سماء ها ... لترسل عليها الضوء باللفحات
فكان كما شاء ت وزال بهاء ها ... وجفّ بها ما كان من قطرات (٥٣)

وقال الشيخ محمد يوسف البنوري يصف الربيع ونسيم الصبح :

أتانا ربيع بعد حين فأنعما ... بروض جديب ظل منه سهما
فطاب نسيم الصبح حتى إخاله ... بروح بأنفاس الكرام تنسما
تباشير صبح أونسائم رحمة ... تنفس عن وجد وبشر تنسما
تبدي صديع الفجر من بعد دلجة ... أضاء ت له الآفاق نوراً تبسما
وإن جديباً حين يشتاق للحيا ... تداركه سيب الإله ترحما
هي الدوحة الخضراء نرجو كمالها ... لتثمر للأوطان إذ أمحل الحمى(٥٤)

ومن موضوعات الوصف في الشعر العربي الباكستاني وصف الشهور الإسلامية المباركة كرمضان وشعبان(٥٥) ووصف مشاعر الحج (٥٦) ووصف الدار الآخرة (٥٧).

هذا ونكتفي بهذه النماذج البسيطة في هذا البحث فهي غيض من فيض.

هوامش

١ـ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس. بيروت: دارالفكر ١٩٩٤م، ج١٢. ص٥٢٣.

٢ـ الأنبياء: ١١٢

٣ـ الأفريقي، ابن منظور: لسان العرب. بيروت: دارإحياء التراث العربي. الطبعة الثانية ١٩٩٧م، ج١٥، ص ٣١٥.

٤ـ أبوعمرو، شهاب الدين: القاموس الوافي. بيروت: دارالكتب العلمية ١٩٩٥م، ص ١٢١٩، وأحمد رضا، شيخ: معجم متن اللغة . بيروت: منشورات دارمعجم . ١٩٦٠م، ج٥، ص٧٦٦.

٥ـ طرفة بن العبد: الديوان. ص ١٥٦.

٦ـ لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف . مصر: دارالمعارف (بدون التاريخ)، ص ٦.

٧ـ محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب. بيروت: دارالكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ج٢، ص ٨٨٣.

٨ـ الجرجاني، علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان ١٩٦٩م، ص ٢٧٣.

٩ـ الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. بيروت: دارالكتب العلمية. الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص ٣٧٣. ج٢، وابن قدامة: نقد الشعر. ص ١١٨.

١٠ـ آذر شب، محمد علي : الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي. تهران: سازمان مطالعه وتدوين كتب ١٣٧٥هـ، ص ٥٣.

١١ـ القيرواني، أبوعلي الحسن ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. بيروت: المكتبة العصرية ٢٠٠٤م، ص ٢٣٠.

١٢ـ لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف ، ص ٦.

١٣ـ عمر ، فروخ: تاريخ الأدب العربي. بيروت: دارالعلم للملايين ١٩٨٤م، ج١، ص٨١.

١٤ـ الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب. بيروت: دارالكتاب العربي. الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، ج٣، ص ٨٣ـ ومحمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب. ج٢، ص ٨٨٤، وابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ص ٢٣٢، ج٢.

١٥ـ لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف ص ٦.

١٦ـ الروحي، أصغر علي: الديوان. تقديم: الدكتور ظهور أحمد أظهر، لاهور: مجلة المجمع العربي الباكستاني ، المجلد الأول، العدد الثالث، ص٤٥.

١٧ـ مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية. كراتشي: المكتبة البنورية ١٩٨٤م، ص ٧١ـ ٧٢.

١٨ـ بشرى أسماء: "محمد ضياء الحق الصوفي ديوانه وخدماته"، رسالة الماجستير، القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور ١٩٩٥م، ص ١٧٧.

١٩ـ الأفغاني، شمس الحق: علوم القران، بهاولفور : نشر المدرسة الفاروقية، الطبعة الأولى١٩٦٩م، الصفحة الداخلية

.

٢٠ـ مجلة القسم العربي، المجلد الأول، العدد الثاني ١٩٩٦م، لاهور، ص٨٥.

٢١ـ مختار، محمد حبيب اللّٰه: القصائد البنورية . ص ٢٢٥ـ ٢٢٧.

٢٢ـ مختار، محمد حبيب اللّٰه: القصائد البنورية: ص ٤٤ وص ص ١٣٠ـ ١٣١ .

٢٣ـ مختار، محمد حبيب اللّٰه: القصائد البنورية . ص ٢٦٢ـ ٢٢٤.

٢٤ـ معين الحق : القصائد العربية للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، رسالة ايم فل ٢٠٠٨، جامعة بنجاب لاهور، ص:٢٥٠ـ٢٥٢.

٢٥ـ بشرى أسماء: ضياء الحق الصوفي، ديوانه وخدماته، ص ١٩٤ـ ١٩٥.

٢٦ـ الندوي ، محمد ناظم: باقة الأزهار. كراتشي. دارالتأليف والترجمة. (بدون التاريخ)،ص٨.

٢٧ـ راجع للقصيدة بأكملها : مجلة المجمع العلمي الهندي ، (عدد يونيو ١٩٨٥م) الهند ، ص ص ٣١٠ـ ٣١١.

٢٨ـ راجع للقصيدة بأكملها : مجلة بيّنات (ربيع الثاني ـ جمادى الأولى ـ جمادى الثانية ١٤١٩هـ)كراتشي، ص ٦٢ـ ٦٣.

٢٩ـ راجع للقصيدة بأكملها: مختار، محمد حبيب اللّٰه: القصائد البنورية، ص ١٧٠ـ ١٧٨.

٣٠ـ الهمداني، حامد أشرف (الدكتور) : "الشعر العربي في باكستان". رسالة الدكتوراه. جامعة بنجاب ، لاهور. ٢٠٠٦م، ص٣٨٠ـ ٣٨١.

٣١ـ الهمداني، حامد أشرف: الشعر العربي في باكستان: ص ٤٣٥ـ ٤٣٦.

٣٢ـ شفيع، محمد المفتي: نفحات في فضل اللغة العربية. كراتشي : إدارة المعارف، رجب ١٣٩٣هـ، ص ٩٠.

٣٣ـ أصغر علي الروحي: الديوان؛ تقديم ظهور أحمد أظهر (الدكتور): مجلة المجمع العربي الباكستاني المجلد الأول، العدد الثالث، ص ١٠٧ـ ١٠٨.

٣٤ـ المرجع نفسه، ص ٥٣.

٣٥ـ قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبهىٰ. إسلام آباد. منشورات محمد جميل قلندر، الطبعة الأولى١٩٧٨م، ص ٥١ـ٥٣.

٣٦ـ فيوض الرحمن، الدكتور: معاصرين إقبال (باللغة الأردية). لاهور: نيشنل بك سروس (بدون التاريخ)، ص ٦٦٤ـ ٦٦٥.

٣٧ـ فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء ديوبند (باللغة الأردية) ، لاهور: فرنتئر ببلشرز (بدون التاريخ) ، ج٤، ص١٩.

٣٨ـ راجع للقصيدة بأكملها : الندوي، محمد ناظم: باقة الأزهار، ص ٢٤ـ ٢٥.

٣٩ـ قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبهىٰ، ص ٤٠ـ ٤١.

٤٠ـ قلندر، محمد جميل: حلم الفردوس الأبهىٰ، ص ٣٣.

٤١ـ راجع للقصيدة : فقير، محمد أفضل: شآبيب الرحمة. تقديم: ظهور أحمد أظهر. لاهور: مكتبة كارواں (بدون

التاريخ)، ص٥٨- ٥٩.

٤٢- أظهر، ظهور أحمد (الدكتور): مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد الأول ، العدد الثالث، لاهور، ص ٦٦.

٤٣- القادري، محمد حسين: حديث النفس. لاهور: المجمع العربي الباكستاني ١٩٩٥م، ص ٣٤- ٣٥.

٤٤- مجلة الرشيد ، العدد الخاص بالمديح النبوي، لاهور ١٤١١هـ، ص ١٣٥-١٣٨.

٤٥- مجلة الرشيد ، ص ٢٥٣- ٢٥٥.

٤٦- مجلة الرشيد ، ص ٢٤٨- ٢٥١.

٤٧- الروحي، أصغر علي: الديوان. مجلة المجمع العربي الباكستاني. ص ٥٨- ٥٩.

٤٨- القادري، محمد حسين: حديث النفس ، ص ٧١- ٧٢.

٤٩- القادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٨٣- ٨٦.

٥٠- بشرى أسماء "د.محمد ضياء الحق الصوفي ، ديوانه وخدماته": ص ص ٢٠١- ٢٠٢.

٥١- بشرى أسماء: الدكتور ضياء الحق الصوفي "ديوانه وخدماته" ص ٢٠٣.

٥٢- عبدالله ، محمود محمد: آداب اللغة العربية في باكستان. رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، لاهور ١٩٨٢م، ص ٤٣٩.

٥٣- الندوي، محمد ناظم: باقة الأزهار، ص ٣٠- ٣١.

٥٤- مختار ، محمد حبيب الله: القصائد البنورية، ص ص ٢٥٣-٢٥٤.

٥٥- القادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٤٨- ٥٠.

٥٦- القادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٥٠- ٥٣ والندوى، محمد ناظم : باقة الأزهار ، ص ٧ و ص ص ٢٩-٣٠.

٥٧- الجلاسي، غلام النصير: التبيان في شهر رمضان، الطبعة الثانية ، راولبندى ، مطبعة أسد محمود،١٤٢٣هـ ، ص٢٩٨- ٣٠٠، و فقير ، محمد أفضل الحافظ: شآبيب الرحمة، ص ٤٩ ، والقادري، محمد حسين: حديث النفس، ص ٤٧